Donald Hawley:

The Trucial States

Publisher: George Allen and Unwin

الامارات المتهادنة

بقلم دونالد هاولي

استعراض وتعليـق مكي حبيب المؤمن

مدرس بكلية الآداب ـ جامعة البصرة

لم يكن الخليج العربي ، والامارات المتهادنة وهما موضوع هـذا الكتاب ، ليحظيا بالاهتمام الكبير الذي يبديه عدد متزايد من الكتّاب الآن •

فمنطقة الخليج العربي ، بعد ان ثبت انها ، والمناطق المحيطة بهـا كالسعودية وايران والعراق ، تحوي أكبر احتياطي للنفط في العالم وتغذي ٨٥٪ من الاحتياجات الاوربية ، ونسبة كبيرة من احتياجات الطاقة في اليابان والولايات المتحدة الاميركية ، أخذت تحظى اليوم باهتمام متزايد ، وسيزداد يوما بعد يوم كلما تطورت الصناعة وتشابكت مصالح الدول •

كانت أهداف بريطانيا من سيطرتها على هذه المنطقة كما يقول السير وليم لوس في مقدمته للكتاب « حفظ الامن في ميـاه الخليج ومداخلها ، ولفترة خمسمائة سنة كانت مصالحنا المادية في السواحل ، هي انهاء القرصنة التي تنهب تجارتنا القائمة على مرافىء صغيرة عديدة ، ولابعاد القوى الاجنبية التي قد تهدد مطامح أمننا في امبراطوريتنا الهندية ، أو اتصالاتنا معها عن طريق الخليج ، يضاف الى هذه الاسباب اهتمامنا الانساني في الغاء تجارة الرقيق والتي كانت الامارات المتصالحة هذه قـد لعبت دورا غير محدود

فيها . »[1] .

غير ان اهمية الخليج العربي قد ازدادت زيادة هائلة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعلى وجه الدقة منذ ان أخذت بريطانيا تترك مراكزها الاستعمارية العتيدة في شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧ .

وازدياد أهمية هذه المنطقة قد دفع عددا متزايدا من الكتّاب والمؤرخين الى الكتابة في موضوع الخليج وفعالياته المختلفة . فظهرت منذ الخمسينات من هذا القرن حتى صدور كتاب المستر هاولى ، كتب عديدة منها كتاب المستر ارنولد ولسن ـ الخليج العربي ١٩٥٤[2] وكتاب المستر ويدل فيليس ، قتبان وشبيه لعام ١٩٥٥ . وكتاب ل. لوخارت ، سقوط الاسرة الصفوية عام ١٩٥٨ . وكتاب دافيد هاريسون اثار اقدام في الرمل ١٩٥٩ وكتاب ويلفرد تيسجر ، الرمال العربية ١٩٥٩ وكتاب فريمن جرينفيل ، الساحل الافريقي الشرقي ١٩٦٢ ، وكتاب جورج حوراني الملاحة العربية عام ١٩٦٣ ، وكتاب أحمد أبو خيفة تأريخ شرق البلاد العربية ١٩٦٣ وكتاب كيلي الحدود العربية الشرقية ١٩٦٤ ، وكتاب ميلز ، أقطار وقبائل الخليج العربي ١٩٦٦ وكتاب ويندل فيليب ، عمان المجهولة ١٩٦٦ ، وكتابه الآخر المغنون عمان ، ١٩٦٧ ، وكتاب تيوسنيت ، المحيط الهندي ١٩٦٦ ، وكتاب السير وليم لوس ، بريطانيا والخليج العربي ١٩٦٧ . وكتاب غراهام ، بريطانيا العظمى في المحيط الهندي ١٩٦٧ ، وكتاب تيموثي جرين ، عالم الذهب ١٩٦٨ . وكتابي كيللي ، بريطانيا والخليج العربي ١٩٦٨ ، وحملة محمد علي الى الخليج العربي ١٩٦٨ ... وما

---

(١) لوس ، سير وليم ، تقديم الكتاب ص ٧ .

(٢) توخياً للأمانة العلمية ، نود ان نشير الى اننا استعملنا كلمة خليج عربي حيثما وردت كلمة خليج فارسي .

زالت المطابع تخرج المزيد من الكتب ...

على اننا نلاحظ ان البحوث والكتابات التي صدرت حول الخليج العربي قبل اكتشاف النفط وقبيل خروج بريطانيا من القارة الهندية ، كانت كتابات عامة ، تهتم بالمصالح البريطانية في الهند والمحيط الهندي ، وتتعرض لقضايا الخليج العربي خلال بحوثها العامة ، وتمثل وجهات نظر استعمارية واضحة في الغالب ، في حين أخذت الكتب الحديثة تتسم بموضوعية أكثر وبالدقة في معالجة الاقاليم المختلفة .

* * *

وكتاب الامارات المتهادنة ، لمؤلفه دونالد هالولى لعام ١٩٦٧ هو واحد من هذه الكتب الحديثة العديدة .

والمؤلف ، المستر هالولى شغل منصب الوكيل السياسي البريطاني في « أبو ظبي » بين عامي ١٩٥٨ - ١٩٦١ ، وكان مسؤولا ، مسؤولية مباشرة عن علاقات بريطانيا مع الامارات العربية في الخليج العربي . وحصل المستر هاولى ، خلال مكوثه في الخليج العربي ، على معلومات واسعة ، ودقيقة عن سكان هذه المناطق ، في المجالات الاقتصادية والسياسية ، ومعلومات قيمة من خلال احتكاكه اليومي بالمسؤولين والناس . كما استفاد المؤلف ، فائدة واضحة من استعماله للكتب والوثائق التي توفرت لديه .

* * *

واستعرض المؤلف ، في الفصل الاول ، المغنون التأريخ المبكر ، شأن من سبقوه من المؤرخين ، تأريخ هذه المنطقة منذ أكثر من الف عام قبل الميلاد ، مبيناً أسماء ومواقع المناطق القديمة في الخليج ، والعلاقات التي قامت بين هذه المنطقة وايران والعراق .

وألحق الفصل ، بخارطة تبيّن هذه المواقع والاسماء . غير ان هذا

الفصل اتسم بالشمولية ، فلم يكرسه لبحث أو مناقشة احداث معينة بدقة .

* * *

اما الفصل الثاني ، فقد اعطاه المؤلف عنوان « العلاقات العربية » وتطرق فيه الى هجرة القبائل العربية من الجنوب الى المناطق الشرقية وعزا ذلك الى انهدام سد مأرب فقال « يعزو المؤرخون العرب أسباب الهجرات المتتالية من المناطق الجنوبية الى المناطق الشرقية الى الانهدام النهائي لسد مأرب الكبير الواقع شمال شرقي صنعاء في اليمن في القرن الاول والثاني بعد الميلاد ... » ثم يضيف الى ان « الارتباك الاجتماعي – على كل حال – الذي أدى الى عدم اصلاح السد كان السبب في الهجرة ، أكثر من أي سبب مفاجيء آخر »[٣] .

وعن موضوع هجرة الأزد الى عمان ، يقول المؤلف « يخبرنا سرحان ابن سعيد عن هذه الموجات المتتالية المهاجرة ان الأزد تزايد عددهم وزادت قوتهم وارتفعت شهرتهم ، فأجتاحوا عمان ووصلوا حتى الأحساء في العربية السعودية المعاصرة »[٤] .

ويوضح هذا الفصل ، الجهد الكبير الذي بذله المؤلف في متابعة ومقارنة المراجع التأريخية التي تتعلق بهذه الفترة من تأريخ الخليج العربي .

على ان هناك ملاحظة واحدة أود ان ادونها هنا حول هذا الفصل ، وهي انه شمل فترة طويلة من الزمن امتدت ما يزيد على الالف عام ، فأهمل المؤلف – مضطرا – كثيرا من التفاصيل ، وهو يحاول ان يرسم

---

(٣) هارلى ، دونالد ، الامارات المتهادنة ، ص ٤٥ .

(٤) انظر روس ، حوليات عمان ، مطبعة البعثة البابتسية ، كلكتا عام ١٧٩٤ . وهاولى دونالد ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

صورة عامة للموضوع •

* * *

وتتابع فصول الكتاب ، فالفصل الثالث قد كرس لمجيء القوى الاوربية الى منطقة الخليج العربي • الا ان المؤلف ، يسير وفق خطته السابقة ، في الاهتمام بالقضايا العامة ، مهملا التفاصيل ، ومكتفيا بأعطاء صورة عامة للكشوف الجغرافية ، ولمجيء البرتغاليين الى هذه المنطقة •

* * *

وابتداءً من الفصل الرابع ، يتجه المؤلف الى بحث تفصيلي للاوضاع الداخلية للخليج العربي ، فيكرس هذا الفصل للنزاع الداخلي بين القوى المتصارعة في عمان وبقية الامارات في بداية القرن الثامن عشر •

* * *

اما الفصل الخامس ، فقد كرسه المؤلف لقبيلة من أكبر القبائل العربية في العصر الحديث هي قبيلة القواسم التي استأثرت بأهتمام الاوساط الاوربية ، لما مارسته هذه القبيلة من نشاط بحري ، استتبعه نشاط اقتصادي وسياسي ، ولما تعرضت له السفن الاوربية من دمار على أيدي أبناء هذه القبيلة القوية •

ومثل المستر هاولى ، مثل بقية المؤلفين الاجانب ، في اعتبار النشاط البحري العربي ، قرصنة ، وليس رد فعل لتدخل اوربي ، يستهدف القضاء على النفوذ العربي في هذه المنطقة من العالم العربي •

* * *

وكرس المؤلف الفصل السادس ، للمعاهدات التي عقدتها بريطانيا في هذه المنطقة ، والتي اشتهرت باسم المعاهدات المانعة ••• وهو فصل أكثر دقة من الفصول السابقة لاعتماده على حولية

Lorime, Gazettee of the Persian Gulf, Oman and Centeral **Arabia.**

وهي مجموعة وثائق تتحدث بدقة وبتفصيل ، وبمتابعة تكاد تكون يومية لأحداث الخليج العربي وعلاقتها بالهند •

والفصل ، بعد هذا ، يعطى صورة واضحة للاحداث التي صبغت الخليج العربي بطابعه الحديث ، حيث تجلى فيه النفوذ الاجنبي بأوضح صوره •

وما تأريخ الخليج العربي ، في القرن التاسع عشر ، في حقيقته ، الا تأريخ النفوذ البريطاني في هذه المنطقة ، هذا النفوذ الذي سار وفق خطة مدروسة ، استهدفت عقد سلسلة من المعاهدات ، تتشابه تشابها يكاد يكون تاما في معانيها ، وفي صيغها ، مستهدفة ربط هذه المنطقة بعجلة الاستعمار البريطاني •

* * *

وعكف المؤلف في الفصل السابع ، على دراسة الاوضاع الداخلية في هذه المنطقة من الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر كله ، وجزءاً من بداية القرن العشرين • وتأريخ هذه المنطقة في هذه الفترة هو تأريخ النزاعات الداخلية والهجمات المتبادلة التي كان يشنها شيوخ المناطق على بعضهم الداخلية والهجمات المتبادلة التي كان يشنها شيوخ المناطق على بعضهم البعض • فعرب الخليج العربي ، وقد نزحوا من اليمن ، ومن اواسط الجزيرة ، استوردوا معهم كثيرا من خلافاتهم ، واحتفظوا بعادات الغزو والثأر والمباهاة بكثرة العدد والمنعة والقدرة الحربية • وقد استغلت السلطات البريطانية الاستعمارية هذه الخلافات ابشع استغلال ، فنصبت من نفسها حليفا للبعض ، في أوقات معينة ، وحكما بين المتنازعين في أغلب الاوقات ، مستهدفة بذلك ان تكون كلمتها هي النهائية والعليا ، متبعة نفس

السياسة التي طبقها المستعمرون الانجليز بنجاح كبير في الهند من قبل .

ويتحدث المؤلف بأسهاب في هذا الفصل عن غزوات الوهابيين والمصريين في عهد محمد علي . ويتجلى الاهتمام البريطاني بوضوح حين تصل هذه القوات الى مشارف الخليج العربي ، خوفا من تهديد طرق التجارة البريطانية في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

* * *

ويتناول المؤلف في الفصل الثامن ، تطور العلاقات البريطانية مع مناطق الساحل المهادن . هذه العلاقات التي استهدفت أول الامر ضمان حرية المرور وسلامة التجار والسفن ، ثم تطورت الى علاقات اقتصادية وسياسية واستعمارية . ويشير المؤلف بوضوح الى التطور الذي طرأ نتيجة توفير سفن حربية خاصة مهمتها حماية المصالح البريطانية في الخليج العربي ، فهو يقول « خصصت اميرالية البحرية البريطانية ست سفن من البحرية الملكية البريطانية لهذه الخدمات الخاصة . وقد تقرر ان تبقى هذه السفن بأستمرار في الخليج العربي ، وان تناط بها مهمة توفير الاتصالات ومكافحة تجارة الرقيق »[٥] .

على ان المؤلف يعتبر ماقامت به بريطانيا في هذه المنطقة قد وفّر حسن النية فهو يقول « من الممكن توضيح النية الطيبة التي توفرت ، بالقول الشائع بين الناس في هذه المنطقة عن بني ياس : وهو : ياسي انجليزي ، انجليزي ياسي »[٦] . اي ان بني ياس هم والانجليز سواء واحلاف . كما يدعي المؤلف في هذا الفصل أيضا « ان الحكومة البريطانية تركت الحكام يديرون شؤون الناس بأنفسهم ، مع تقديم النصيحة » ، ثم يضيف

---

(٥) هاولى ، دونالد ، الامارات المتصالحة ، الفصل الثاني ص١٦٦ .

(٦) نفس المصدر والفصل ص ١٦٦ .

انه «وبالتالي فحيث كانت الحكومة البريطانية تتفاوض مع الحكام المحليين في مواضيع معينة كالنفط والتسهيلات الجوية ، فأن وجهة النظر المحلية كانت دائما تعطى العناية المناسبة »[٧] • ولا أدري كيف يتمكن شيخ جاهل محدود السلطة ، من مفاوضة أعتى وأقوى امبراطورية استعمارية في العالم •

* * *

ويتناول المؤلف في الفصل التاسع مشكلة واحة البريمي الشهيرة • ويشير المستر هاولي الى تأريخ هذه الواحة فيقول « تحت حكم الامبراطورية العثمانية ، كانت العربية السعودية تشكل مقاطعات عديدة ، ليس منها ، على الرغم من الفعاليات الوهابية ، اي ادعاء الى اي من الامارات المتهادنة ، أو الى الربع الخالي • وحتى القبائل الرحالة لم يكن لها أي ميل في هذه المنطقة الرملية من جنوب شرقي الجزيرة العربية • وفي نيسان عام ١٩٣٥ ادعت الحكومة السعودية بصورة رسمية بمنطقة الربع الخالي ، وخور العبيد ، وهي منطقة تقع على الحدود بين «أبو ظبي» وقطر ، كما طالبوا بجزء كبير من ظفار »[٨] •

ويستمر المؤلف مستعرضا تأريخ هذه المشكلة ، ولكنه ينتهي بالزيارات المتبادلة بين الشيخ زايد بن سلطان وبعض المسؤولين السعوديين ، ويشير الى ان هذه الزيارات ستؤدي الى توفير الاستقرار في هذه المنطقة، بعد أن طال حولها النقاش •

وبما أن المستر هاولي قد أتم طبع كتابه عام ١٩٧٠ ، فأنه لم يتوفر له أن يتابع الاتفاقية الاخيرة التي وقعت قبل بضعة أسابيع بين فهد بن

---

(٧) نفس المصدر والفصل ص ١٦٩ •

(٨) نفس المصدر الفصل التاسع ص ١٨٨ •

عبدالعزيز والشيخ زايد بن سلطان ، وبموجبها انتهى الخلاف حول هذه الواحة الغنية بموارد النفط بعد أن وصل الى أروقة الامم المتحدة .

ان طبيعة الخلاف حول واحة البريمي يعود في كثير من أسبابه ، الى النزاع بين النفوذ البريطاني والنفوذ الاميركي المتصارعين في هذه المنطقة، وهو أمر أهمله المؤلف مع الاسف . فالنفط في «أبو ظبي» وهي الامارة المسيطرة على واحة البريمي يعود في معظمه خلال فترة النزاع الطويلة الى شركات بريطانية بالدرجة الاولى ، في حين يعود معظم النفط السعودي الى الاحتكارات الاميركية ، فالنزاع بين «أبو ظبي» وبين المملكة العربية السعودية ، حول واحة البريمي هو نزاع بريطاني أميركي في حقيقته وان اتخذ أثوابا عربية .

* * *

وفي الفصل العاشر ، يستعرض المؤلف اقتصاد المنطقة ، ويقدم لنا احصائيات طريفة عن عدد الزوارق في المشيخات ، ومعلومات عن التجارة الداخلية والخارجية ، والزراعة والبدو ، كما يتحدث عن معدن الاوكسايد الاحمر . ويبرز المستر هاولي ، احصائية عن دخول هذه الامارات قبل تفجر النفط وكيف قفزت هذه الارقام بعد اكتشاف النفط بصورة هائلة ومثيرة .

* * *

والفصل الحادي عشر ، مكرس للحديث عن النفط ، واكتشافه ، ومقداره ، واحصائيات المؤلف تعود لسنوات قريبة خلت فهو لهذا يعطي صورة حية لهذه المنطقة التي تمر بتطور سريع قل نظيره في العالم اليوم ، لان الموارد الهائلة من النفط والمعادن الاخرى كالذهب لاتتناسب ، بحال ، مع ضآلة عدد سكان هذه المنطقة .

* * *

وخصص المؤلف الفصل الثاني عشر ، للحديث بتفصيل واضح عن التطورات التي أخذت طريقها الى منطقة الامارات المتهادنة • ويتطرق المؤلف للمساعدات التي قدمتها الكويت والبحرين وبريطانيا لتطوير التعليم والصحة والنواحي الفنية والزراعة • كما يتناول خطة السنوات الخمسية في هذه المنطقة ، وما تستهدفه هذه الخطة من تطوير شامل للحياة الاقتصادية والاجتماعية والادارية والثقافية •

أما الفصل الثالث عشر ، وهو الاخير ، فقد خصصه المؤلف لاحتمالات المستقبل •

وفي هذا الفصل لا يقصر المؤلف بحثه على الامارات المتهادنة بل يبحث أحوال البحرين والكويت وقطر وعمان • كما يتحدث المؤلف عن مشروع اتحاد الامارات العربية الذي كان في طور التكوين عند تأليف الكتاب •

ويختتم المؤلف كتابه بملاحظة يشير فيها الى أن مستقبل المنطقة متوقف على العلاقة التي سيقيمها الاتحاد المرتقب مع البلاد العربية وايران على السواء ، مدعيا ان لايران حقوقا مشروعة في هذه المنطقة ، وهو أمر نخالفه فيه ، لاننا نعتقد ان مستقبل هذه المنطقة مرهون بمستقبل أبناء الامة العربية ، وسيكون هذا المستقبل زاهرا وبعيدا عن النفوذ الاستعماري اذا ماتحققت وحدة العرب الشاملة من المحيط الى الخليج •

• • •

لعل من أهم ما أورده المؤلف المستر دونالد هاولي ، في كتابه ، هي الملاحق العديدة والمفيدة • فقد كرس المؤلف في كتابه أكثر من مائة صفحة لهذه الملاحق • وقد تناولت هذه الصفحات المائة ، جغرافية البلاد ،

وعدد سكانها والطقس وطبيعة الارض الجيولوجية وجزر الخليج العربي ، والقبائل العربية وأصولها ، والاشجار وأنواعها ومناطقها ، وأنواع النخيل، والمقاييس والمكاييل والحيوانات والزوارق المحلية واسمائها وأشكالها والاكتشافات الاثرية في «أم النار» ونصوص المعاهدات التي عقدتها بريطانيا عام ١٩٠٢ • وأسماء الممثلين البريطانيين الذين تولوا السلطة والمناطق التي عقدت فيها الاتفاقيات مع بريطانيا ، واصول القبائل وتفرعاتها واحصائيات تجارية عديدة •

وختم المؤلف كتابه ، بفهرس للاعلام ، وقائمة بالمراجع المستعملة في هذا الكتاب •

* * *

وفي الختام ، يمكن القول ، بشيء كثير من الثقة ، ان كتاب المستر دونالد هاولي «الامارات المتهادنة» يشكل مساهمة جيدة في حقل الدراسات الانسانية المتعلقة بالخليج العربي • وسيحتل هذا الكتاب مكانه بين الكتب الكلاسيكية الموثوقة في الموضوع ، كما سيحتل الكتاب مكانه بين كتب المراجع القيمة حول هذه المنطقة المهمة من العالم العربي •

وحبذا لو اقدم أحد المهتمين بشؤون الخليج على ترجمة هذا الكتاب لتعم فائدته بين الناطقين بالضاد •

والله ولي التوفيق •